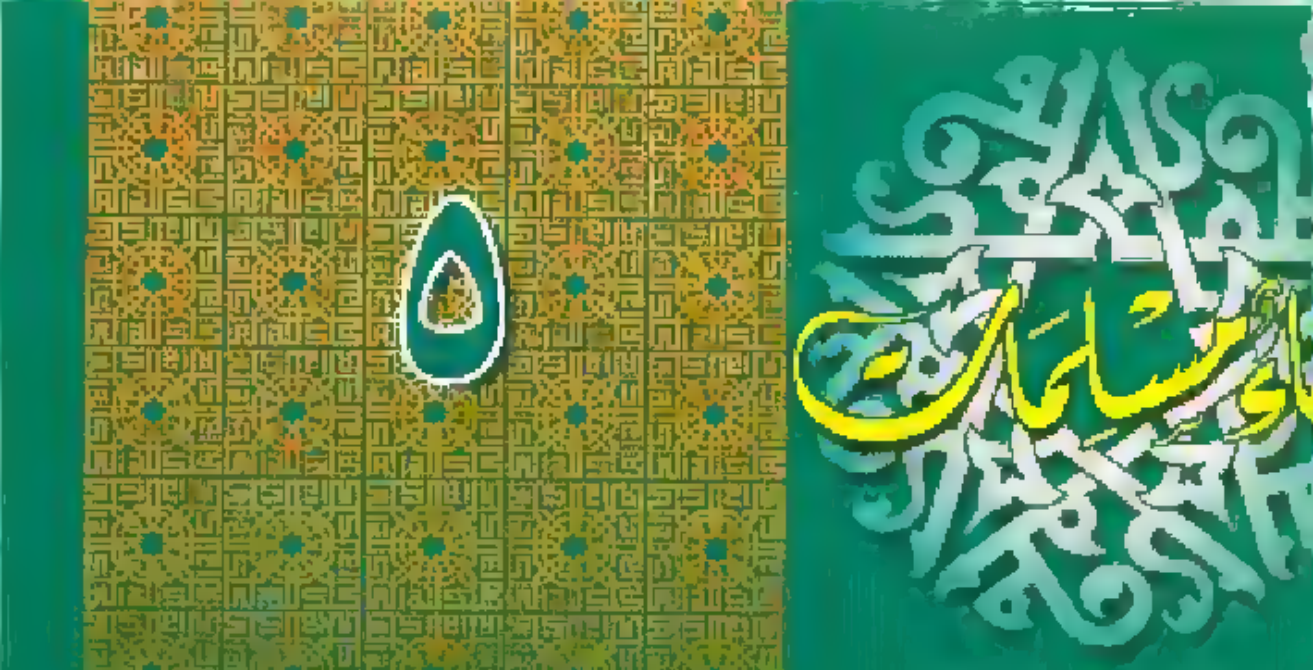

٥

عائشة بنت أبي بكر

الجزء الثاني

أهم صفاتها

إشراف د. راغب يعقوب المصري

بريشة أ. عبد الغني مبيض

إشراف أ. أحمد أبو مطلق

كانتْ (عائشةُ) تحبُّ النبيَّ ﷺ حبًا يفوقُ الوصفَ، فقدْ تفتحتْ عيناها منذُ الطفولةِ عليهِ وحدَهُ ﷺ، فأصبحَ كلُّ شيءٍ في حياتِها، وقدْ وصلَ هذا الحبُّ أحيانًا إلى درجةِ الغَيْرَةِ.

فذاتَ ليلةٍ كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يبيتُ عند (عائشةَ)، فخرجَ منْ عندِهَا لبعضِ شأنِهِ، وأحستْ به (عائشةُ) وهو يخرجُ، فمضتْ خلفَهُ لكيْ ترى ما يفعلُهُ، فلما رآهَا الرسولُ ﷺ قال لهَا:

ـ مالكِ يا (عائشةُ)، أغِرْتِ؟

فقالتْ:

ـ ومالي لا يغارُ مثلي على مثلِكَ؟

فقالَ لها النبيُّ:

ـ أقدْ جاءكِ شيطانُكِ؟

فقالتْ:

ـ يا رسولَ اللَّهِ ومعي شيطانٌ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ:

ـ نعمْ .

فسألتْهُ (عائشةُ) :

ـ ومعَ كلِّ إنسانٍ ؟ ومعكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقال ﷺ :

ـ نعمْ ، ولكنَّ ربِّي أعانني عليهِ حتَّى أسلَمَ .

وكانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالغَيْرةِ منْ (خديجةَ رضيَ اللَّهُ عنها) حتى بعدَ موتِها ، وقالتْ ذاتَ يومٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ أنْ رأتهُ حزينًا على (خديجةَ رضيَ اللَّهُ عنها) :

ـ هلْ كانتْ إلا عجوزًا ، قدْ أبدلكَ اللَّهُ خيرًا منها ؟

فقالَ لها الرسولُ ﷺ :

ـ لا ، واللَّهِ ما أبدلَني اللَّهُ خيرًا منها ، آمنتْ بي إذْ كفرَ الناسُ ، وصدَّقتْني إذْ كذَّبني الناسُ ، وواستْني بمالِها إذْ حرمَني الناسُ ، ورزقَني اللَّهُ منها الولدَ دونَ غيرِها منَ النِّساءِ !

وعندئذٍ قالتْ (عائشةُ) لنفسِها :

ـ لا أذكرُ (خديجةَ) بسيِّئةٍ بعدَ ذلكَ أبدًا .

كانتْ (عائشةُ) تعرفُ مكانةَ (خديجةَ رضيَ اللَّهُ عنها)

في قلب النبيِّ ﷺ ، وكانَ أقصى ما تتمناهُ هو أنْ تحظى بنفسِ المكانةِ وهذا الحبُّ ، الذى كانتْ تحظى به (خديجةُ رضىَ اللَّهُ عنها) ، ولذلكَ فقدْ كانتْ تغبطُها ، وربما كانتْ تشعرُ بالغيرةِ نحوها لهذا السببِ .

وقدِ استطاعتْ بمرورِ الأيامِ أنْ تبلُغَ مكانةً عظيمةً فى قلبِ زوجِها ﷺ ، ولكنها كانتْ تأتى فى مكانةٍ أقلَّ منْ مكانةِ (خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضىَ اللَّهُ عنها) .

وقدْ كانَ الرسولُ ﷺ يدركُ الطبيعةَ البشريَّةَ عندَ (عائشةَ) ، لذلكَ فقدْ كانَ يعذرُها ويلتمسُ لها العُذْرَ .

فذاتَ يومٍ أخرجتِ الغيرةُ (عائشةَ) عنْ وعْيِها ، وقالتْ للرسولِ ﷺ فى غضبٍ :

ـ ألستَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّهِ ؟

فتبسمَ النبيُّ ﷺ ، وقالَ لها :

ـ أوَ فى شكٍّ أنتِ يا أمَّ (عبدِ اللَّهِ) ؟

ـ فأعادتْ قولَها :

ـ أو لستَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّهِ ، فهلا عدلْتَ ؟

وسمعَها أبوها وهى تخاطبُ زوجَها ﷺ بهذه الطريقةِ ،

فلمْ يُعْجِبْهُ ذلكَ ، فهمَّ بأنْ يلطُمَها ، فنهاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنْ ذلكَ ، وقالَ لهُ :

ـ مهلاً يا (أبا بكرٍ) .

فقالَ (أبو بكرٍ) :

ـ أوَ لمْ تسمعْ ما قالتْ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ إنَّ الغيْرَةَ لا تُبْصِرُ أسفلَ الوادى منْ أعْلاهُ .

وكانَ الرسولُ ﷺ يتسامحُ مع (عائشةَ) فى ذلكَ ، فقدْ كانَ صدرُهُ رحبًا يسعُ مثلَ هذه الأمورِ ، كما أنهُ كانَ يعرفُ أنَّ زوجتَهُ تحبُّهُ ، كما كانَ هو أيضًا يُحبها حبًا عظيمًا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يبتسمُ لهذهِ التصرفاتِ النسائيةِ ويقولُ عنْ زوجاتهِ مداعبًا :

ـ إنهنَّ صواحِبُ يوسفَ ، وإنَّ كيدَهُنَّ عظيمٌ .

ولعلَّ هذا إنْ دلَّ على شيءٍ ، فإنما يدلُّ على سماحةِ الإسلامِ وسماحةِ الرسولِ ﷺ ، إذْ يعترفُ بالضعْفِ البشريِّ ، ويحاولُ أنْ يعالجَهُ ويحوِّلَهُ إلى مواطنِ قوةٍ فى الإنسانِ ، وهذا ما حدثَ مع (عائشةَ) ، حيثُ أصبحتْ بمرورِ الوقتِ تحاولُ التخففَ

منْ غيرتِها ، وتحوَّلتْ هذه الغيرةُ إلى حبٍ واحترامٍ لرسولِ اللّه ﷺ ، كما أنها انشغلتْ بما هو أهمُّ ، حيثُ حرصتْ على حفظِ أحاديثِ رسولِ اللّه ﷺ ، لأنهُ كانَ يمكثُ عندها أكبرَ وقتٍ ، وكانَ الوحيُ يتنزلُ عليهِ وهوَ عندها .

ولذلكَ فقدْ أخذَ عنها العلماءُ أحاديثَ رسولِ اللَّه ﷺ ، وصارتْ أهمَّ مرجعٍ يمكنُ الاعتمادُ عليه في هذا الجانب ، فقدْ روتْ عنها كتبُ الحديثِ الصحيحةُ أكثرَ منْ ألفيْ حديثٍ مختلف .

وقالَ عنها (عطاءُ بنُ رَباحٍ) :

ـ كانتْ (عائشةُ) أفقهَ الناسِ ، وأعلَمَ الناسِ ، وأحسنَ الناسِ رأيًا في العامَّة .

وعنْ (هشامِ بنِ عروةَ) عنْ أبيه قالَ :

ـ ما رأيتُ أحدًا أعلَمَ بفقهٍ ولا بطبٍ ولا بشعرٍ منْ (عائشةَ) .

وقالَ (الزهريُّ) :

ـ لو جُمِعَ علمُ (عائشةَ) إلى علمِ جميعِ أمَّهاتِ المؤمنينَ وعلمِ جميعِ النساءِ ، لكانَ علمُ (عائشةَ) أفضلَ .

ولقدْ كانتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تدركُ نِعَمَ اللَّه عليها ، فقدِ اختصَّها بأشياءَ لمْ يختصَّ بها غيرَها منْ زوجاتِ النبيِّ ﷺ .

فقدْ قالتْ (رضيَ اللَّهُ عنها) :

ـ أُعطيتُ خِلالاً ما أُعطِيَتْهَا امرأةٌ : مَلَكني رسولُ اللَّه ﷺ

وعلى آلِهِ ، وأنا بنتُ سبْعٍ ، وأتاه الملَكُ بصورَتِى فى كفِّهِ لينظُرَ إليها ، وبَنَى بى - أى تزوَّجنى - لتسعٍ ، ورأيتُ جبرائيلَ ، وكنتُ أحبَّ نسائِهِ إليهِ ، ومرِضْتُهُ فقبضَ ولمْ يشهَدْهُ غيرى والملائكةِ .

لقدْ غيَّرتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) نظرةَ الناسِ إلى المرأةِ ، فلقدْ كانَ الناسُ يعتبرونَ المرأةَ أقلَّ منَ الرجُلِ ، وكانوا لا يعتدُّونَ برأيها ولا يقيمونَ له وزنًا ، أما (عائشةُ) فقدْ تتلمذَ على يديها مئاتُ الصحابةِ والتابعينَ ، ورووْا عنها الأحاديثَ الصحيحةَ ، ولا يوجدُ كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ إلا ونجدُ فيه : عنْ (عائشةَ) أو قالت (عائشةُ) .

ويكفي أنْ نعرفَ أن كبارَ الصحابةِ قدْ رَوَوْا عنها الأحاديثَ، فقدْ روى عنها (عمرُ بنُ الخطاب) وابنُهُ (عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ) و (أبو هُرَيرةَ) و (عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ) و (أبو موسَى الأشعَرِيُّ) وغيرُهم .

كما روَى عنها منْ كبارِ التابعينَ : (سعيدُ بنُ المسيَّبِ) و (مَسْروقٌ) و (أبو وائلٍ) و (عبدُ الله بنُ حكيمٍ) و (عمرو بنُ ميمونٍ) وآخرونَ .

وما زِلْنا حتى يومِنا هذا نروِي الأحاديثَ التي حفظَتْها لنا (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ولعلَّ الإسلامَ بذلكَ قد سبقَ العالمَ أجمعَ ، إذْ جعلَ للمرأةِ المسلمةِ مِثلَ هذه المكانةِ ، فهيَ معلمةٌ للرجالِ ، وراويةٌ

للأحاديث ، وفقيهةً تفتى فى أدقّ المسائل ، ولا يملكُ الرجالُ إلا أنْ يتلقّوْا ذلكَ بإعجابٍ وتقديرٍ ، ويُشيدوا بصاحبتِهِ (رضىَ اللّهُ عنها) .

فقدْ قالَ الصحابةُ (رضوانُ اللّهِ عليهمْ) :

ـ ما اشكلَ علينا أمرٌ ، فسألْنَا عنهُ (عائشةَ) إلاّ وجدنَا

عندها فيه علماً ، وكانتْ تحفظُ أشعارَ العربِ ، حتى إنها ما كانَ ينزلُ بها شيءٌ إلا أنشدتْ فيه شعراً .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) مضربَ المثلِ فى العلمِ والحفظِ ، فقدْ كانتْ مثالاً نادراً فى الجودِ والكرمِ ، حتى إنها كانتْ تنفقُ كلَّ ما يأتيها فى سبيلِ اللهِ ، وربما لا تتركُ لنفسِها ما تشترى به الطعامَ .

فقدْ جاءَها ذاتَ يومٍ مائةُ ألفِ درهمٍ ففرقتها على الفقراءِ وهى يومئذٍ صائمةٌ ولمْ تتركْ لنفسِها شيئاً ، فقالتْ لها خادمتُها :

ـ أما تركتِ درهماً تشترين به لحماً تفطرين عليه ؟

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ لو كنتِ أذكرتِنى لفعلتُ .

ودخلَ عليها أحدُ المسلمينَ ، وقالَ لها :

ـ يا أمَّ المؤمنينَ أصابتنى فاقةٌ .

فقالتْ :

ـ ما عندى شىءٌ ، فلوْ كانَ عندى عشرةُ آلافِ درهمٍ لبعثتُ بها إليكَ .

فلما خرجَ الرجلُ منْ عندِها ، جاءتْها عشرةُ آلافِ درهمٍ منْ عندِ (خالدِ بنِ أُسَيْد) ، فأرسلت بها إليهِ .

ومن صفات (عائشةَ رضى اللّهُ عنها) : الورعُ والتقوى والحياءُ والبرُّ بالآخرينَ ، ولعلَّ أهمَّ هذه الصفات بالنسبة للمرأة الحياءُ ، فهو شُعْبةٌ من شُعب الإيمان ، وقدْ كانتْ (عائشةُ) مثالاً للمرأة المؤمنة الحَيِيَّة .

فقدْ كانتْ تدخلُ إلى البيت الذى دفنَ فيه زوْجها ﷺ وأبوها وهى لا تضعُ الحجابَ على رأسها وتقولُ لنفسها : ـ إنما هو زوجي وأبي .

فلما دُفنَ (عمرُ) رضي الله عنه بجوارهما ، لمْ تدخلْ إلا والحجابُ على رأسها كأنَّها تدخلُ على رجالٍ أحياءَ .

وضربتِ السيدةُ (عائشةُ) المثلَ فى الصَّبرِ والتحمُّلِ والشجاعة ، وذلك بعدَ أنْ حدثتْ لها حادثةٌ كادتْ تعصفُ بحياتها ، لولا ثباتُها وثقتُها بالله ، ألا وهى حادثةُ الإفْك .. وسنعْرِفُ تفاصيلَ هذه الحادثة فى الكتاب التالى ، وكيفَ صمدتْ (عائشةُ رضى اللّهُ عنها) فى وجه الظلم حتى أظهرَ اللّهُ براءتَها من فوقِ سبْعِ سمواتٍ ..

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٣) (حادثة الإفك)

رقم الإيداع ٢٠٠١/٣١٩٧
الترقيم الدولى : ٣ ـ ٥٢٤ ـ ٢٩١ ـ ٩٧٧